



# مجلة البحث العلمي الإستراتيجي



Journal of Islamic Scientific Research  
(JOISR)

مجلة إسلامية علمية محكمة

تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية

ISSN: 2708-1796 (ردمد النسخة المطبوعة)

E-ISSN: 2708-180X (ردمد النسخة الإلكترونية)

السنة الثانية والعشرون - العدد 70 - 2025-06-30م

Volume 22 - issue no. 70 - 30/06/2025

Pages: 280 -245

الصفحات: 280-245

أثر سياق الحال في بنية الخطاب المكتوب - رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والحكام نموذجًا -

The Impact of Situational Context on the Structure of Written Discourse:  
The Letters of the Prophet ﷺ to Kings and Rulers as a Model

د. فتن خليل محجازي

Dr. Faten Khalil Mhjazi

أستاذ مشارك في علوم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل (سابقًا)

Associate Professor of Arabic Linguistics

College of Arts, King Faisal University (Formerly)

Email: Drfaten2@hotmail.com

تاريخ الاستلام - 2024/07/28 - Date of Receipt

تاريخ القبول - 2024/08/14 - Date of Acceptance

اعتمادات



doi Foundation



جميع الأبحاث / الأعداد المنشورة متوفرة على موقع المجلة الرسمي [www.boukharysrc.com](http://www.boukharysrc.com)

عكار، شمال لبنان، ص.ب. طرابلس 208 جوال 0096170901783 - فاكس 009616471788 - بريد إلكتروني: editor@joisr.com

د. فتن خليل محجازي

أستاذ مشارك في علوم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك فيصل (سابقاً)

*Dr. Faten Khalil Mhjazi*

Associate Professor of Arabic Linguistics  
College of Arts, King Faisal University (Formerly)

Drfaten2@hotmail.com

أثر سياق الحال في بنية الخطاب المكتوب  
— رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والحكام نموذجاً —  
The Impact of Situational Context on the Structure  
of Written Discourse:

The Letters of the Prophet ﷺ to Kings and Rulers as a Model

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٤/٧/٢٨ / تاريخ القبول: ٢٠٢٤/٨/١٤

موجز البحث

تمتعت رسائل الرسول ﷺ بقوة تأثيرية كبيرة، بسبب مراعاة سياق الحال في كتابتها، وقد وصلت إلينا أصول بعض الرسائل، وثقها الباحثون بمنهج علمي دقيق يجعلنا نطمئن إلى صدقها والاعتماد عليها في دراسة نماذج من الخطاب النبوي المكتوب. حيث اعتمدت البحوث السابقة على ما روي منها، مما أدى إلى خلاف في النصوص يستدعي وقفة لمعرفة أقربها إلى النص الأصلي، كما أنهم لم يدرسوا الرسائل كخطاب أهم ما فيه العنصر السياقي. وهذا ما قمنا به في هذا البحث الذي استخدمنا فيه منهج تحليل الخطاب فوصلنا إلى النتائج الآتية:

إن البنية العليا للرسالة الإسلامية تعود إلى ما قبل الإسلام. وقد كتبت وفقاً لسياق الحال لتحقق الفعل التأثيري الأقوى، والذي وصل إلى حده الأقصى مع النجاشي بإذعانه وإسلامه، وكسرى بغضبه وتمزيق الرسالة. وقد ظهر تأثير السياق في البنية العليا بحذف بعض العناصر وفقاً لحال المرسل إليه. وفي البنية الكبرى للرسائل ذات المحتوى القضوي الواحد بتغيير الأفعال الإنجازية نوعاً وترتيباً لمناسبة المرسل إليه، وفي تغيير الحجج المستخدمة لإقناع المخاطب بالدعوة إلى الإسلام. فتحققت في الرسائل جميع شروط نجاح الخطاب التي وضعها اللغويون،

من تماسك وإخبارية عالية، ومناسبة سياق، وقوة حجاجية، وصدق، بما يجعلها نماذج تحتذى في هذا النوع من الخطاب المكتوب.

**الكلمات المفتاحية:** سياق الحال، رسائل الرسول، البنية العليا، البنية الكبرى، تحليل الخطاب.

### Research Summary

This study examines the persuasive power of the Prophet Muhammad's ﷺ letters, focusing on the role of situational context in shaping their structure and rhetorical effectiveness. While some original manuscripts of these letters have been preserved and authenticated through rigorous scholarly methods, earlier studies often relied on transmitted narrations, which led to textual discrepancies and lacked contextual discourse analysis.

Adopting a discourse analysis methodology, this research reevaluates the Prophet's letters as coherent written texts, where context plays a central role in shaping form and meaning. The study concludes the following:

The superstructure of Islamic letters draws from pre-Islamic conventions, yet the letters were crafted contextually to maximize persuasive effect. This is illustrated by contrasting outcomes-such as the conversion of the Negus of Abyssinia and the rejection by Khosrow of Persia, who tore the letter in anger.

Contextual factors influenced the inclusion or omission of structural elements based on the status and disposition of each recipient.

At the microstructural level, the variation in illocutionary acts (speech acts) and argumentation strategies reflected sensitivity to the communicative context, with specific adjustments made to suit the recipient's background and position.

The Prophet's letters demonstrate all essential components of effective discourse as identified by modern linguists: textual cohesion, high informativeness, contextual appropriateness, persuasive strength, and credibility-making them exemplary models of written Islamic communication.

**Keywords:** Situational Context; Prophetic Letters; Superstructure; Microstructure; Discourse Analysis

## أثر سياق الحال في بنية الخطاب المكتوب - رسائل الرسول إلى الملوك والحكام نموذجاً -

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فإن سياق الحال أحد عناصر دائرة الاتصال الكلامي المهمة، يعني: أنه لا يمكن فهم الخطاب دون تسليط الضوء عليه لمعرفة حقيقته، وهو مؤثر في بنية الرسالة سواء أكانت البنية العليا أم البنية الكبرى.

**الدراسات السابقة:** هناك كثير من الدراسات تناولت الرسائل النبوية بالدراسة وغلب عليها المنهج الوصفي التاريخي منها: (عالمية الإسلام ورسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء) للشيخ عبد الوهاب طويلة والدكتور محمد أمين شكري حلواني<sup>(١)</sup>، حيث تناولوا في القسم الثاني من الكتاب مجموعة من رسائله ﷺ، وكتابه، وسفرائه، ومنها: رسائل الرسول ﷺ إلى النجاشي، وقبصر وكسرى، موضوع بحثنا. وقد اهتمنا بعرض نص الرسالة، والسفير والحوار بين السفير والمرسل إليه، ودراسة الرسالة، ومآل الرسالة.

كما اهتم علي بن حافظ الوادعي بـ(فقه الدعوة في رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء) في رسالته لنيل درجة الماجستير والتي عنوانها بالعنوان السابق<sup>(٢)</sup>.

واهتم محمود شيت خطاب في مؤلفه (سفراء النبي ﷺ)<sup>(٣)</sup> بالمرسل إليهم، والسفراء وجهودهم وما أثمرت عنه هذه الجهود، وتحدث عن كتاب النبي ﷺ وما ورد عن الخاتم النبوي، والرسائل والمواد التي كتبت عليها الرسائل، والخط الذي كتب به كتاب النبي ﷺ.

وتناول هذا الموضوع أيضاً د. محمد عمر شاهين، فكتب بحثاً بعنوان: (رسائل الرسول ﷺ إلى الملوك والأمراء)<sup>(٤)</sup>، تناول فيه مجموعة من رسائل الرسول ﷺ من حيث مادتها، ومضمونها، وتاريخ كتابتها، والجلد المستخدم فيها، والختم الذي ختمت به، وردود أفعال الملوك والأمراء.

وكما نلاحظ تتشابه الموضوعات التي تناولتها هذه الدراسات، أما الدراسات البلاغية لنصوص الرسائل، والتي اهتمت بأثر سياق الحال في لغة الرسائل فوجدنا منها دراسة د. محمد مصطفى محمود ليلة: (رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء)<sup>(٥)</sup>.

ودراسة الدكتور طلعت عبد الله بسيوني أبو حلوة: من بلاغة النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء

(١) دمشق: دار القلم، (٢٠٠٨).

(٢) السعودية: جامعة طيبة، (١٤٢٥هـ - ١٤٢٦هـ).

(٣) بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، جدة: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

(٤) مجلة آداب الرفادين، جامعة الموصل، العدد ٥٤، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

(٥) مجلة الزهراء، العدد ٢٠، (٢٠٢٠).

يدعوهم إلى الإسلام<sup>(١)</sup>.

**أسباب اختيار الموضوع:** إذا ثمة دراسات اهتمت بالجانب البلاغي لألفاظ وجمل النصوص التي اشتملت عليها الرسائل، لكن لم تهتم بالجانب النصي، كما أن الدراسات تناولت على استحياء دور سياق الحال، ولم تدرس دوره في البنية العليا للرسالة، مما خلق الحاجة إلى ملء هذه الثغرة. **هدف البحث:** يهدف هذا البحث إلى معرفة أثر سياق الحال في بنية الرسالة النبوية الموجهة إلى الملوك والحكام.

**منهج البحث:** من أجل الوصول إلى هدفنا سوف نتبع منهج تحليل الخطاب الذي يعيد النص إلى السياق الذي ولد فيه للتحقق من المدونة الخاضعة للبحث وظروف إنتاجها، حيث لاحظنا حاجة المخطوطات إلى إعادة تحقيق، بسبب بعض الأخطاء الواردة في قراءة نصوص الرسائل، فمنهج تحليل الخطاب هو المنهج الأكثر تكاملاً لأنه يسمح بالاستعانة بالتاريخ والوصف والتحليل ومختلف العلوم إذا احتاج الباحث إلى ذلك.

وقد قسمنا الدراسة إلى مقدمة وخمسة مطالب وخاتمة. هي:

مقدمة.

المطلب الأول: سياق الحال.

المطلب الثاني: إعادة تحقيق الرسائل الخاضعة للدرس.

المطلب الثالث: أثر سياق الحال في البنية العليا للرسالة.

المطلب الرابع: أثر سياق الحال في البنية الكبرى.

المطلب الخامس: السياق المستثار من البنية الداخلية.

خاتمة البحث.

**أصالة البحث:** دراسة رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم ليست جديدة فهناك كثير من الدراسات اهتمت بها الدراسات التاريخية واللغوية خاصة، إلا أننا سنتبع منهج تحليل الخطاب الذي يؤدي إلى نتائج جديدة، كما أننا سنخضع المدونة للتحقيق قبل بدء التحليل، ونصحح بعض الأخطاء الواردة في قراءتها بناء على معايير متنوعة.

(١) مجلة كلية الدراسات الإسلامية بنين أسوان، المجلد ١، العدد ١، (٢٠١٨).

## المطلب الأول

### سياق الحال

قديمًا قالت العرب: لكل مقام مقال. وقد جاءت هذه المقولة في شعر زهير بن أبي سلمة (١٣ق.هـ.)، إذ قال:

ولولا أن ينال أبا طريف                      عذابٌ من مليكٍ أو نكالٍ  
لما أسمعتم قَدْعًا ولكن                      لكل مقام ذي عانٍ مقالٍ<sup>(١)</sup>  
وقال الحطيئة (ت: ٤٥ هـ.) لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:

تحنّ عليّ هداك المليك                      فإن لكل مقام مقالاً<sup>(٢)</sup>

وهذه المقولة أسست موقفًا من دلالة الرسالة اللغوية بكل أشكالها وموضوعاتها، سواء أكانت كلامًا بين شخصين، أم قصيدة، أم رسالة، أم خطبة. كما كانت الموجه لاستنباط الأحكام الفقهية، وتفسير القرآن الكريم. فالمقام هو مجموعة الظروف التي أحاطت بالرسالة اللغوية لحظة إنتاجها وهو ما درس في العصر الحديث تحت مسمى سياق الحال، والذي وجد من ينظر له، ويتوسع في تفاصيله كاللغوي الإنكليزي فيرث<sup>(٣)</sup> الذي تسبب إليه نظرية سياق الحال.

فسياق الحال: مجموعة الظروف المحيطة بالرسالة اللغوية وتؤثر فيها، وتشمل حال المخاطب والمخاطب، والبيئة الجغرافية، والتاريخية، والاجتماعية، وكل ما يمكن أن يتدخل في دلالة الخطاب ويوجهها، وكذلك يشمل الشخصيات التي تشهد الكلام، وما يصدر عنها، وأثر النص الكلامي في المشتركين كالغضب أو الاقتناع، أو الضحك أو غير ذلك من ردود الأفعال<sup>(٤)</sup>.

وبهذا المعنى يضم سياق الحال السياق العاطفي emotional context الذي «يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال مما يقتضي تأكيدًا أو مبالغة أو انفعالاً»<sup>(٥)</sup> كما في كلمات: أحب، وعشق، وودّ، وشغف؛ هي كلمات تحمل معنى الحب بدرجات متفاوتة.

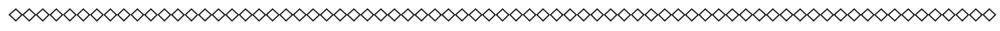
(١) زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له علي حسن فاعور، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٨-١٩٨٨) ص: ١٠٠.

(٢) محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) ج: ٢، ص: ١٤٨.

(٣) John Rupert Firth، لغوي بريطاني (١٨٩٠-١٩٦٠) وأستاذ جامعي، اشتغل في تدريس الصوتيات واللسانيات العامة، له دور في تطوير علم اللغة في بريطانيا وهو أول من درس اللسانيات دراسة علمية متطورة أثرت في تطوير علمي الصوتيات والدلالة، وفي المجال الدلالي تسبب إليه نظرية السياق في تفسير المعنى. جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كية، السعودية: جامعة الملك سعود، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م). ص: ٢٢٧.

(٤) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، بيروت: دار النهضة العربية (د.ت). ص: ٣١١.

(٥) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع (١٩٧٠م). ص: ٧٠.



وكذلك يضم سياق الحال السياق الثقافي context cultural الذي يحدد المحيط الثقافي والاجتماعي للكلمة، فنحن لا نستطيع أن نفهم كلمة ( جذر) إلا إذا عرفنا السياق الثقافي الذي تنتمي إليه، وهي في علم الصرف، تختلف عن علم التاريخ، أو علم الرياضيات، أو علم النبات. ويضم سياق الحال سياق الموقف situational context الذي يتطلب استعمالات لغوية خاصة كالتي تقال في التهنئة أو العزاء.

وهو يختلف عن السياق اللغوي linguistic context الذي يحدد معنى الكلمة من خلال الكلمات المجاورة لها في النظم، كما في كلمة يد التي ذكر لها الدكتور أحمد مختار عمر ستة عشر معنى سياقياً نذكر منها: (يد) الفأس: مقبضها، وفلان طويل (اليد) إذا كان سمحاً، وسقط في (يده) أي: ندم.<sup>(1)</sup>

فسياق الحال: هو السياق الخارجي الذي يحكم وظائف العناصر اللغوية لأي نص، والتمكن منه يؤدي إلى منح النص قوة تأثيرية، خاصة إذا كان النص حجاجياً يهدف إلى إقناع المخاطب بقضية ما، كرسائل الرسول ﷺ التي يدعو بها الملوك إلى الإسلام. ويمكن أن نؤكد أن فشل التأثير نتيجة لعدم القدرة على التحكم بالعناصر السياقية، ففهم العناصر السياقية لا يعني التحكم بها دائماً كما نجد مثلاً كسرى ملك الفرس؛ إن بنية الرسالة الموجهة إليه تبين أنها موجهة إلى رجل لن يستجيب، فحالته معروفة بالنسبة إلى المرسل، وقد فرضت بنية نصية خاصة. سياق خطاب الرسول ﷺ إلى الحكام والملوك.

يحدد تاريخ بدء إرسال الرسائل اللغوية لدعوة الملوك والحكام إلى الدين الإسلامي بسنة ست للهجرة بعد صلح الحديبية، وقد أتاح الصلح فرصة للرسول I للتوجه إلى خارج شبه الجزيرة العرب، حيث كانت تحيط بشبه الجزيرة العربية أربعة ممالك، هي إمبراطورية فارس وإمبراطورية الروم، ومملكة القبط، ومملكة الحبشة، وكان أعظم هذه الممالك وأكثرها إحاطة بالحدود العربية مملكتي فارس والروم.



(1) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص: ٧٠.







بعثه الرسول ﷺ إلى هرقل حاملاً له رسالة تدعوه إلى الإسلام سنة ست للهجرة، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ على صورته أحياناً<sup>(١)</sup>، شهد اليرموك وكان فيها أميراً على كردوس، كما تولى قيادة الفرسان إلى تدمر حيث فتحها صلحاً. وسكن دمشق بعد ذلك وكان منزله بالمزة، وبقي فيها إلى زمن معاوية، حيث توفي سنة خمسين<sup>(٢)</sup>.

٣. عبد الله بن حذافة السهمي.

صحب رسول الله ﷺ وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وبعثه رسول الله ﷺ إلى كسرى برسالة يدعوه فيها إلى الإسلام، وكان في جيش عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الروم، فأسره الروم وتعرض للتعذيب الشديد كي ينتصر، لكنه ثبت، فأطلقوا سراحه، مات في خلافة عثمان رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

٤. حاطب بن أبي بلتعة اللخمي.

من أصحاب رسول الله ﷺ شهد الوقائع كلها مع رسول الله ﷺ، وكان من مشاهير المهاجرين ومن الرماة الموصوفين، وكانت له تجارة واسعة، أرسله رسول الله ﷺ إلى المقوقس، توفي حاطب سنة ثلاثين للهجرة في المدينة<sup>(٤)</sup>.

وقد بين ابن أبي شيبة أن هؤلاء السفراء يجيدون لغة القوم الذين أرسلوا إليهم<sup>(٥)</sup>. ومع ذلك تم اختيارهم لاعتبارات أخرى، منها: الفهم الدقيق للإسلام، والإحاطة بكل ما نزل من القرآن الكريم والحديث النبوي، والفصاحة، وحسن المظهر، والخبرة الواسعة بالجهات التي ذهبوا إليها، والمجتمع الذي قصدته الرسالة، والشجاعة النابعة من ثقتهم بالله، وإيمانهم بصدق العقيدة، وإن خالفت ما عليه الناس، فكانوا يناقشون الملوك وهم فرادى، غير عابئين بأبهة الملك، وقوة السلطان، كما تحلوا بحسن الخلق، والصبر الجميل ومراعاة حق مخاطبيهم

(١) ابن الأثير، كتاب أسد الغابة، ج: ٢، ص: ١٩٨، رقم (١٥٠٧).

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، حرف الدال، ج: ٨، ص: ١٥٩، رقم (٩٢). ابن سعد، الطبقات الكبير، ج: ٤، ص: ٢٢٤، رقم (٤٦٥)، ابن كثير، البداية والنهاية، ج: ١١، ص: ٢١٧. محمود شيت خطاب، سفراء النبي ﷺ، بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، جدة: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ج: ١، ص: ٢٨٨.

(٣) ابن الأثير، كتاب أسد الغابة، باب العين والباء، ج: ٢، ص: ٢١٢، رقم (٢٨٩١). وابن منظور مختصر تاريخ دمشق، ج: ١٨، ص: ١٠٣-١٠٦، رقم (٧٢)، ابن سعد، الطبقات الكبير، ج: ٤، ص: ١٧٦، رقم (٤٢٥)، ومحمود شيت خطاب، سفراء النبي ﷺ، بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، جدة: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ج: ١، ص: ٣٠٥.

(٤) خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، (٢٠٠٢م)، رقم (٥٥). ابن الأثير، كتاب أسد الغابة، باب الحاء والألف، ج: ١، ص: ٦٥٩، رقم (١٠١١)، ابن سعد، الطبقات الكبير، ج: ١، ص: ١٠٦، ج: ٢، ص: ٨٤، محمود شيت خطاب، سفراء النبي ﷺ، بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، جدة: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ج: ١، ص: ٢٢١.

(٥) عبد الله بن محمد أبو بكر بن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الحديث والآثار، تح: كمال يوسف الحوت، الرياض: دار الرشد، (١٤٠٩هـ). ج: ٧/ص: ٣٤٧، رقم الحديث (٢٦٦٢٨).

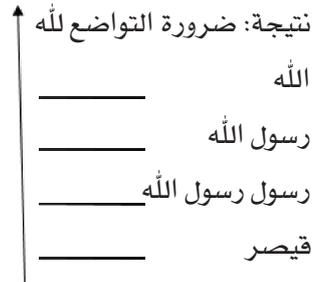


في الدرجة السفلى فهذا موضعه الحقيقي، وقيصر مسيحي يعرف أن مكانته أرضية، ويجب أن يخضع للمكانة السماوية، وما يأتي منها.

إذا توافرت في الخطاب كل شروط النجاح فهو يتمتع بالإخبارية العالية، حيث قدم معلومات جديدة لا يعرفها المخاطب، والصدق، والوضوح، والترابط، كما أنه قدم الحجج الواضحة التي لا تقبل النقض، وجعلت القيصر يصدقها بقول: (نعم).

فقد احتج أولاً لضرورة كون القيصر متواضعاً بطريقتين:

١. استخدام السلم الحجاجي وهو من الآليات شبه المنطقية، ويعرف بأنه مجموعة غير فارغة من الأقوال بينها علاقة تراتبية ويحقق شرطين أولهما: كل قول في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته فالقول الموجود في أعلى السلم يلزم عنه جميع الأقوال الأخرى، والشرط الثاني: كل قول في السلم كان دليلاً على مدلول معين يعلوه قول يمثل دليلاً أقوى<sup>(١)</sup>. وقد وضع دحية قيصر في الدرجة السفلية الأولى، دون أن يترك له مجالاً للاعتراض:



٢. استخدام الوصل السببي، وهو من الآليات الحجاجية اللغوية. التي يلجأ إليها المخاطب، ليربط بين أحداث متتابعة، ويربط بين ما يمكن أن يكون المقدمة والنتيجة، لتصبح النتيجة مقدمة لنتيجة أخرى<sup>(٢)</sup>، فالتواضع يؤدي إلى الفهم، والفهم يؤدي إلى النصح، والنصح يؤدي إلى العدل.

واحتج ثانياً لحق الله بالانفراد في العبودية بالقياس المنطقي:

المسيحي يصلي لله

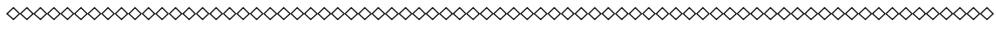
أنت مسيحي

أنت يجب أن تكون مصلياً لله.

واحتج ثالثاً لكون المسيح مخلوقاً، بالقياس المنطقي:

(١) عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجج وأدواته، بحث في كتاب الحجج مفهومه ومجالاته التطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف د. حافظ إسماعيل علوي، إربد، عالم الكتب، (٢٠١٠م) ج: ١/ ص: ٩٥.

(٢) السابق ج: ١/ ص: ٨٢.



لكل مخلوق خالق.

السَّمَوَات والأَرْض مخلوقة.

هناك خالق.

المسيح في بطن أمه لا يمكن أن يكون خالقًا.

واحتج رابعاً لصدق دعوى كون محمد ﷺ رسولاً باستخدام الحجج بالسلطة، وفي هذا النوع من الحجج يلجأ المحاجّ إلى نصوص، أو أقوال للاستشهاد، مأخوذة من كتب ذات شهرة أو صيت كبير، وبذلك يعتمد على سلطة علمية، أو أخلاقية، أو دينية<sup>(١)</sup>. كما فعل بالإشارة الضمنية إلى التوراة والإنجيل اللذين تحدثنا عن مجيء محمد ﷺ رسولاً، إنه بهذا يلجأ إلى سلطة دينية وتاريخية لا يمكن إهمالها، تتمثل في الحجج الآتية:

١. بشر به موسى.

٢. بشر به عيسى.

٣. علم قيصر (بصفته مسيحي يعرف الإنجيل ويؤمن بالتوراة) ببعث رسول.

وهكذا هيّا دحية قيصر لتلقي الرسالة النبوية، وكان هذا ممكناً مع واحد من أتباع الكتب السماوية، كما فعل حاطب بن أبي بلتعة مع المقوقس<sup>(٢)</sup>، وعمرو بن أمية الضمري مع النجاشي، ولم ينجح عبد الله بن حذافة السهمي مع كسرى لأن كسرى كان مجوسياً متجبراً لا يؤمن إلا بسلطة النار، أو القوة المادية، وهو غير قابل للمناقشة أو الحجج، فكانت ردة فعله عنيفة حين قرئ عليه الكتاب، إذ أخذ الكتاب ومزقه<sup>(٣)</sup>.

المواد التي استخدمت في الرسائل:

كتبت رسائل الرسول ﷺ على رقاع جلدية ناعمة، وكانت هذه الرسائل تختم بخاتم النبي ﷺ المستدير كما ختمت الرسائل النبوية بعد طيها، بالختم النبوي. واستعمل الحبر الأسود في الختم النبوي وفي كتابة مضمون الرسائل<sup>(٤)</sup>، وكان الخط العربي في بداية انفصاله عن الخط النبطي، ولم يكن منقوفاً ولا مشكولاً، حيث ينسب إلى أبي الأسود الدؤلي النقط الذي يمثل الفتحة والضممة والكسرة، كما أن النقط الذي يميز الحروف المتشابهة ظهر في نقوش تعود إلى النصف الثاني من القرن الأول الهجري<sup>(٥)</sup>.

(١) حميد اعبدة، الحجج في الفلسفة وفي تدرسيها، مقال في الحجج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، إربد: عالم الكتب الحديث، (٢٠١٠)، ج ١/٦٧٦.

(٢) محمود شيت خطاب سفراء النبي ﷺ، ١ / ٢٢٠.

(٣) السابق / ١ / ٣١٠.

(٤) السابق / ١ / ٢٧٤.

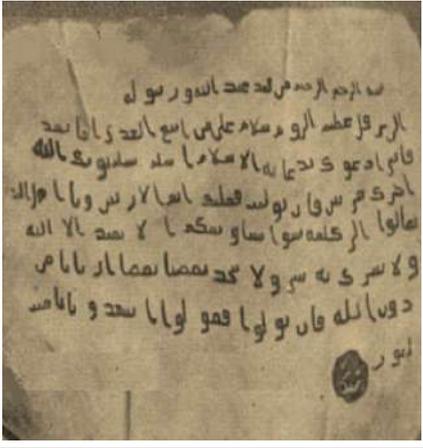
(٥) غانم قدوري الحمد، علم النقط والشكل التاريخ والأصول، عمان: دار عمّار للنشر (٢٠١٦)، ص: ٢٢.



- المعيار اللغوي، فالرسائل تنتمي إلى فترة الاحتجاج ولا يمكن أن يخطئ كتاب الرسول ﷺ لغوياً. وهذا المعيار قد أفادنا في قراءة نص هرقل قراءة صحيحة، فوضعنا (يؤتك) مكان (يؤتيك) في ص (١٠) من الوثائق السياسية.
٣. وجود نص الرسالة في أحد كتب الأحاديث الصحيحة. كنص رسالة هرقل في صحيح البخاري رقم الحديث (٢٩٤٠).
٤. اتفاق أغلب المصادر على وجود جزئية معينة كوجود (أما بعد) التي أسقطها المباركفوري من رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل<sup>(١)</sup> أو اتفاق أغلب المصادر على إسقاط جزئية معينة كإسقاط (أما بعد) من رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى.
٥. القرائن السياقية. كما جاء في نص الأصبهاني لرسالة الرسول ﷺ إلى كسرى، في دلائل النبوة للأصبهاني، ص (٣٤٩) (من محمد رسول الله النبي الأمي) ففي نص مرسل إلى الملوك من غير المناسب أن يقدم نفسه الشريفة (بالأمي) هذا بالنسبة إلى السياق الخارجي، أما في السياق الداخلي فقد قدم الرسول ﷺ نفسه بأنه عبد الله ورسوله أو رسول الله فقط مع اسم العلم، تخلياً عن كل كلمة لا تؤدي الوظيفة المرجوة. وقد نستخدم أكثر من معيار في الحالة الواحدة، خاصة عندما لا يكون نص الرسالة قد ورد في الحديث الصحيح كاملاً.

(١) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، الطبعة الشرعية، الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، (١٤٢٧هـ)، ص: ٣٦٣.

## رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل عظيم الروم

١- بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله	
٢- إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد	
٣- فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم (يؤتك) الله	
٤- أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم الأريسين ويا أهل الكتاب	
٥- تعالوا إلى كلمة سوا بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله	
٦- ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من	
٧- دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدو بأننا مسلمون	
٨- لمون	

وهذه نسخة إلكترونية موافقة لما نشره الدكتور محمد حميد الله في مجموعة الوثائق السياسية ص ١٠٨.

بسم الله الرحمن الرحيم،

من محمد عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم،

سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلَمَ تَسَلَّمَ، [وَأَسْلَمَ] يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِن تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْأَرِيْسِيِّنَ، وَ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

(الختم)

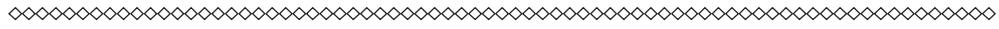
هذا النص الذي نشره الدكتور محمد حميد الله يوافق الأصل المكتشف إلا في (وأسلم) حيث لا تتضح (وأسلم) قبل (يؤتك) في المخطوط، ولعل (وأسلم) طمست في الانتشاء فهذا النص هو ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما كما جاء في صحيح البخاري<sup>(٢)</sup>، ومسنند الإمام أحمد<sup>(٣)</sup> واختلف معه الإمام أحمد بكلمة (بدعاية) الإسلام، كما اتفق النص مع ما جاء في صحيح مسلم<sup>(٤)</sup>

(١) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص: ١٠٩.

(٢) محمد بن إسماعيل البخاري، (ت: ٢٥٦هـ). صحيح البخاري، تح: مصطفى ديب البغا، دمشق: دار ابن كثير- دار اليمامة، (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام، ج: ٣، ص: ١٠٧٤، رقم (٢٧٨٢).

(٣) أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٢١هـ-٢٠٠١م). مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهما، (ج: ٤/ص: ٢٠١)، رقم (٢٣٧٠).

(٤) مسلم بن الحجاج، (ت: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى بابي الحلبي وشركاه،



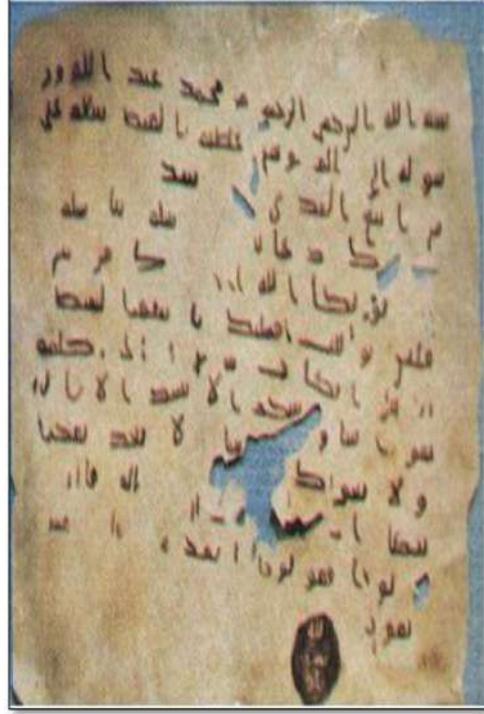
إلا في (وإن) توليت. أي بالواو بدلاً من الفاء.  
وقد أخطأ قارئ النص المخطوط في السطر الثالث عندما قال (يؤتيك) <sup>(1)</sup> فكما نجد في  
المخطوط (يوتك) دون ياء.

---

(١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م)، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ، ج: ٣، ص: ١٣٩٢، رقم (١٧٧٣).  
(١) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، د. ١١٠.

رسالة الرسول ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ور
- ٢- سوله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على
- ٣- من اتبع الهدى أما بعد
- ٤- فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم
- ٥- ... يؤتلك الله أجره مرتين
- ٦- فإن توليت فعليك إثم القبط
- ٧- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة
- ٨- سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله
- ٩- ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا
- ١٠- بعضاً أرباباً من دون الله فإن
- ١١- تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلم
- ١٢- لمون



سنعتمد النص المخطوط بعد إضافة (وأسلم) قبل يؤتلك في السطر الخامس لوجود فراغ قبل (يؤتلك) وهو ما جاء في عيون الأثر<sup>(١)</sup>، وزاد المعاد<sup>(٢)</sup>، وإعلام السائلين<sup>(٣)</sup>، وصبح الأعشى<sup>(٤)</sup>، والرحيق المختوم<sup>(٥)</sup>. وقد أهمل الدكتور محمد حميد الله إضافة (وأسلم)<sup>(٦)</sup>.

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط.

(١) محمد بن محمد بن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمايل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، بيروت: دار القلم، (١٤١٤هـ-١٩٩٣م). كتاب النبي ﷺ إلى المقوقس، ج: ٢/ص: ٣٢٢.

(٢) شمس الدين محمد ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تح: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م). ج: ٣/ص: ٦٠٣.

(٣) شمس الدين ابن طولون، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، تح: محمود الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م). ص: ٨١.

(٤) أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت). ج: ٦، ص: ٣٦٤.

(٥) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ٣٦١.

(٦) محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية، ص ١٢٥.

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلمت تسلم، [وأسلم] يؤتكَ اللهُ أجرَكَ مرتين، فإن تولَّيت، فعليكِ إثمُ القبط. ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

(الختم)

وهذه الرسالة مشابهة في صيغتها لرسالة الرسول ﷺ إلى هرقل.

رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى

١- بسم الله الرحمن	
٢- (١) لرحيم من محمد عبد الله و	
٣- رسوله إلى كسرى عظيم فا	
٤- رس سلام على من اتبع الهد	
٥- ي وآمن بالله ورسوله و	
٦- شهد أن (لا) إله الا الله و	
٧- حده لا شريك له وأن محمد(١)	
٨- عبده ورسوله أدعوك	
٩- بدعاية الله فياني (فياني؟) أنا رسو	
١٠- ل الله إلى الناس كافة	
١١- لأنذر من كان حيا ويح	
١٢- القول على الكافرين	
١٣- (أ) سلم تسلم فإن أبيته في	
١٤- نما عليك إثم المجو	
١٥- س	
١٦- علامة الختم	

أضف المحقق أرقام السطور وزاد القوسين للإحاطة بالمطموس وقد حذفنا رأس الهمزة لأن هذا الرمز غير موجود.

كما أضفنا في السطر ٨ (ف) والسطر (١٣) (١) لأنها مطموستان.

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى، وثيقة (٥٣)

(يأذن مالكه السيد هنري فرعون)

١٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

من مُحَمَّدٍ عبدِ اللَّهِ ورسولِهِ إلى كسرى عظيمِ فارسٍ

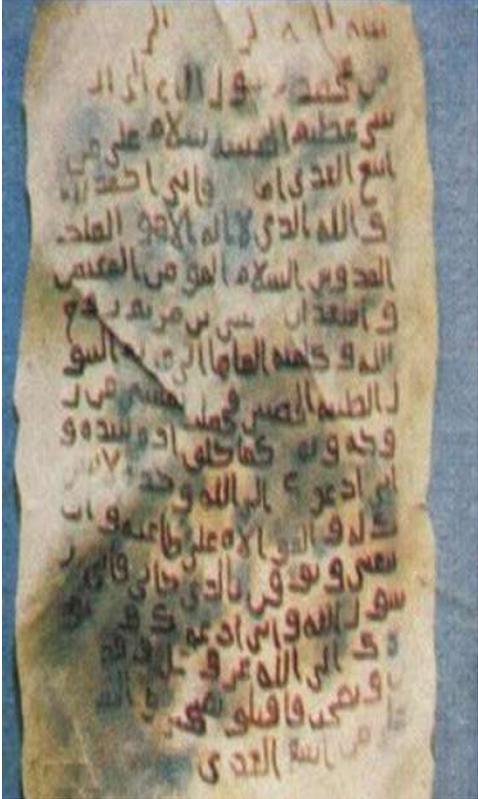
سَلَامٌ على من اتَّبَعَ الهدى وآمنَ باللهِ ورسولِهِ، وشَهِدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له وأنَّ

محمدًا عبدهُ ورسولهُ، أدعوك بدعايةِ اللهِ، فياني أنا رسولُ اللهِ إلى النَّاسِ كَافَّةً، لأنذِرَ من كان حياً



رسالة الرسول ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة

هذا نص الرسالة التي ظفر بها المستشرق د.م دنلوب من براند كرك في اسكوتلندا ونشر صورة الرسالة الشمسية في مجلة (JRAS) الإنجليزية في شهر يناير سنة ١٩٤٠.

<p>بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من ر وحه ونفخه كما خلق آدم بيده و إني أدعوك إلى الله وحده لا ش ريك له والموالاتة على طاعته وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني ر سول الله وإني أدعوك وجنو دك إلى الله عز وجل وقد بلغ تُ ونصحتُ فاقبلوا (كذا) نصيحتي والسلام على من اتبع (هكذا بتاءين) الهدى</p>	
--	---

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى النجاشي عظيم الحبشة

سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو، الملك القدوس، السلام المؤمن، المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله، وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاتة على طاعته، وأن تتبعني، وتوقن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وإني أدعوك





صغر- ليس له وظيفة.

ب. حذف الحمد من جميع الرسائل إلا رسالته ﷺ إلى النجاشي. لأن النجاشي هو الملك الوحيد الموحّد، فالرسول حمد الله للنجاشي على إنعامه عليه بالتوحيد، لأن الرسول ﷺ يكن للنجاشي الحب والموّدة لما تلقاه المسلمون منه من حماية عندما هاجروا إليه.

ت. حذف التحية الختامية: من جميع الرسائل باستثناء رسالته ﷺ إلى النجاشي.

وهكذا نجد أن بعض عناصر البنية ثابتة هي: البسملة، اسم المرسل ووصفه، واسم المرسل إليه ووصفه، والموضوع، والختم. وبعضها يتغيّر حدفاً وفقاً لعنصر مهم من عناصر سياق الحال هو المرسل إليه.

#### المطلب الرابع

#### أثر سياق الحال في البنية الكبرى (الدلالية) للرسالة.

##### ١. التماسك النصي:

وكما أثر سياق الحال في شكل الرسالة أو البنية العليا أثر في البنية الدلالية، فظهر اختلاف في الخصائص النصية للرسائل وفقاً لحال المرسل إليه، دون أن يؤثر في قوة التماسك النصي للرسائل النبوية. وأول اختلاف ملحوظ تغير وصف المرسل، وفقاً لعقيدته فجاءت في رسائله I إلى هرقل، المقوقس، كسرى: (محمد عبد الله ورسوله) في حين كانت الصيغة في رسالته إلى النجاشي (محمد رسول الله) ولم يجد حاجة في ذكر لفظ العبودية.

كما أنه استخدم قيوداً أخرى في التحية عندما خاطب كسرى، ففي حين اكتفى بقوله ﷺ: (سلام على من اتبع الهدى) في رسائله إلى هرقل، والمقوقس، والنجاشي لأن هؤلاء يعرفون ماهية الهدى المقصودة؛ فصل ما تتضمنه هذه العبارة في خطابه كسرى، مستخدماً واو الجمع بينها لأنه ﷺ يعرف أن ثقافة كسرى وبنيتة النفسية تمنعه من الفهم والاستيعاب فقال له: (سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ).

كما أثر سياق الحال في عناصر التماسك النصي للرسالة النبوية، والتماسك النصي الذي سنتحدث عنه لا يفصل بين السبك النحوي والانسجام الدلالي، فكل عنصر نحوي يؤدي وظيفة دلالية، أما أهم عناصر التماسك النصي في الرسائل الخاضعة للدرس فهي:

١. العنصر الأول الذي يشعر القارئ بتماسك الرسالة قبل معرفة مضمونها والذي حيك الرسالة من البداية إلى النهاية هو لفظ الجلالة، حيث بدئت الرسالة بلفظ الجلالة: بسم الله الرحمن الرحيم، وختمت بلفظ الجلالة، فالختم: محمد رسول الله.

٢. بدء الموضوع بتحية السلام وختمه بتحية السلام.





عبد الله ورسوله.

ويستأنف بالدعوة إلى الله، بالتعريف بنفسه ﷺ مؤكداً كونه رسول الله إلى الناس كافة باستخدام (إنّ) وضمير الفصل في عبارة واحدة (فإني أنا...) مقدّمًا له الحجّة على الدعوة حيث نجد لام التعليل قد ربطت الإنذار بالرسالة، واستحقاق الجزاء بحجة الإنذار السابقة، وهذا ما يسمى الحجاج بالوصل السببي، ويكرر الدعوة (فأسلم تسلّم) وهذا التكرار يربط الجملة بما جاء في أول الموضوع، ويختم بما ختم به رسالتيه إلى هرقل والمقوقس بخلاف مناسب لسياق الحال (فإن أبيتته فإنما عليك إثم المجوس).

فالإباء أكثر مناسبة للغرور والعجرفة، والقصر يحمل كسرى وحده مسؤولية كفر رعيته، لأنهم عبيده ولا يسألون عن أفعالهم. بينما لا يوجد قصر في قوله ﷺ: (فإن توليت فعليك إثم الأريسيين) أو (فإن توليت فعليك إثم القبط)، وهذا القصر مناسب لقوة الإنذار في الرسالة، والذي لم نجد في الرسائل إلى هرقل والمقوقس والنجاشي.

وترتفع نبرة التهديد في مجموعة من الجمل المسبوكة بقوة التسلسل المنطقي الذي يشكل حجة الجزاء فالبدء بالدعوة، فالإنذار، فاستحقاق الكافرين الجزاء، فتكرار الدعوة إذا أراد السلامة. وضمنها تعليل قيامه ﷺ بالدعوة، فهو مكلف بها لدعوة الناس كافة بما فيهم الملوك وإنذارهم دون استثناء مهما كانت قوة الملك، فهو الأقوى لأنه مكلف بسلطة إلهية، وهو وحده رسول الله ﷺ

إذا كُسرَت بنية الرسالة لتغيّر حال المرسل إليه وتغيّر الأسلوب.

أما الإحالة: فنجد الإحالة إلى مجهول غير محدد (من) المتقدمة في قوله ﷺ (اتبع، آمن، شهد)

والإحالة إلى لفظ الجلالة المتقدم (وحده، له، عبده، رسوله)

كما نجد إحالة في الجملة الشرطية الأخيرة تربطها بأول نص الموضوع في قوله (أبيتته) لأن الهاء تحيل إلى الهدى في بداية النص.

ونجد استخدام الحذف ولكن بنسبة أقل عن الرسالة السابقة، لأن كسرى أكثر حاجة إلى الإفهام من أهل الكتاب.

رسالة الرسول ﷺ إلى النجاشي:

- بنية الرسالة: نلاحظ اكتمال البنية العليا النموذج حيث نجد هذه الرسالة تحمل صيغة

الحمد وتحية الختام

- البدء باسم الله والختم باسم الله.

- الحذف: تشابه في صيغة البسمة، وتحية البداية، وأما بعد مع الرسائل السابقة، ونجد



نحوي وظف لأداء دلالة لا يمكن إهمالها.

## ٢. التناص:

كما أثر سياق الحال في اختيار النصوص والتعبيرات المقتبسة من القرآن الكريم. وفقاً لما يتطلبه حال المرسل إليه، ومن أشكال الأخذ المباشر من النص القرآني افتتاح الرسول ﷺ رسائله بقوله (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم اسم المرسل والمرسل إليه، وهذا ما نجد في رسالة سيدنا سليمان إلى ملكة سبأ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] أما تحيته في الرسائل فكانت ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى﴾ [طه: ٤٧] والدعوة إلى إله واحد يدعمها بالاستشهاد بالآية ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] كما في رسالة الرسول ﷺ إلى هرقل، والمقوقس.

وفي رسالة الرسول ﷺ إلى كسرى ينذر الرسول ﷺ كسرى بقبس من القرآن الكريم فقال: **لَأَنْذَرُ ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾** [يس: ٧٠]

وفي رسالته ﷺ إلى النجاشي يقبس من سورة الحشر ﴿اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]. ومن سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] كما أن قوله ﷺ «وقد بلغت ونصحت» قد جاء على لسان الأنبياء في القرآن الكريم كما في سورة الأعراف [الأعراف: ٩٣، ٧٩، ٦٢]

## ٣. أثر سياق الحال في بنية الأفعال الكلامية<sup>(١)</sup> المكونة للنص:

فنص الرسالة هو فعل قضوي، قضيته (دعوة) إلى الإسلام. وقد تضمن سلسلة من الأفعال اللغوية الإنجازية اختلفت من نص إلى آخر في نوعها وترتيبها وفقاً للمرسل إليه، وقد تضمن الفعل القضوي (الدعوة إلى الإسلام) الأفعال الكلامية الآتية: الدعوة، والأمر، والتوكيد، والشهادة، والتهديد، والإنذار، والترغيب، والحمد، والتوجيه.

فالدعوة جاءت بعد عبارة (أما بعد) مباشرة [فإني أدعوك بدعاية الإسلام] في رسالته ﷺ إلى هرقل، والمقوقس، وكسرى، وجاءت الدعوة في رسالة النجاشي بعد فعل الحمد وفعل الشهادة (شهادة الرسول ﷺ على كون عيسى عليه السلام روح الله وكلمته وحصانة السيدة مريم) وفي حين تضمنت الدعوة في الرسائل السابقة إلى الله كانت دعوة النجاشي إلى وحدانية الله واتباع الرسول وتصديق القرآن.

(١) بالمفهوم الذي قدمه أوستن في كتابه نظرية أفعال الكلام العامة جون لانجشو أوستن (١٩٩١م)، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة قنيني عبد القادر، المغرب: دار إفريقيا الشرق. وانظر: واضح أحمد، (٢٠١١م-٢٠١٢م) الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي، (رسالة دكتوراه)، الجزائر: جامعة وهران.

وفي الرسائل السابقة دعوة إلى عظيم قومه فقط أما في الرسالة إلى النجاشي فدعوة للنجاشي وجنوده.

والتوكيد (توكيد الدعوة) [فإني أدعوك] في رسالته إلى هرقل، المقوقس. [وإني أدعوك] رسالته إلى النجاشي. في حين اختص توكيد الدعوة في رسالته ﷺ إلى كسرى فقال [وأدعوك] بعد حذف (إن) التي تفيد التوكيد. وجاء التوكيد على كونه رسول الله إلى كسرى قوياً [فإني أنا رسولُ الله إلى النَّاسِ كَافَّةً]، ويتضمن حجة على قيامه بالدعوة بما أن كسرى من الناس. وهو يستخدم التوكيد باليتين: (إني) + الضمير المنفصل (أنا) مراعاة لحال المخاطب من الجهل أو النكران المتوقع. في حين نجد فيه التوكيد أضعف في رسالته ﷺ إلى النجاشي [فإني رسول الله] لأن النجاشي مؤمن بمجيء رسول، عرف ذلك مما جاء بالإنجيل.

التهديد: أول ما نذكره خلو رسالته ﷺ إلى النجاشي من التهديد. بل على العكس، نجده يلاطف النجاشي ويتقرب إليه، ويذكر له المشترك بين الدين الجديد ودينه، واحترامه للمسيحية الحقّة ورموزها. وذلك لأن النجاشي حزن المهاجرين الفارين من مكة، وأنه يتبع ديناً سماوياً غير محرف، فلديه الاستعداد الكافي لتقبل الدين الجديد، في حين استخدم التهديد في الرسائل الأخرى بدرجات متفاوتة وفقاً لحال المرسل إليه:

جاء في النصوص: [أسلم تسلّم] في رسالته ﷺ إلى هرقل، والمقوقس [فأسلم تسلّم] في رسالته ﷺ إلى كسرى

[فإن تولّيت فعليك إنّم الأريسيين] في رسالته ﷺ إلى هرقل، [فإن تولّيت، فعليك إنّم القبط] في رسالته ﷺ إلى المقوقس، [فإن أبيتّه فإنّم عليك إنّم المجوس] في رسالته ﷺ إلى كسرى.

الإنداز: جاء الإنداز في رسالته ﷺ إلى كسرى [لأنذّر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين]

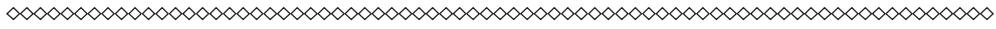
الترغيب: [أسلم يؤتكَ اللهُ أجركَ مرّتين] في رسالته ﷺ إلى هرقل والمقوقس. وقد خلت رسالته ﷺ إلى كسرى من الترغيب، لأن ملكاً يجد نفسه رب الكون لا يمكن أن تجد ما تغريه فيه. أما رسالته إلى النجاشي، فسبب خلوها من الترغيب، كون النجاشي يعرف جزاء من يتبع الله ويؤمن برسوله.

## المطلب الخامس

### السياق المستثار من البنية الداخلية

كما أثر السياق الخارجي في بنية الرسالة شكلاً ومضموناً، نجد أن بنية الرسالة تستثير السياق الخارجي، ففي كل نص عناصر بنيوية تدل على السياق خارج النص ومنها:

١. المرسل إليه: إن استخدام اللقب يبيّن المكانة السياسية والاجتماعية للمرسل إليه، فهو الحاكم: المقوقس، كسرى، النجاشي، وهو في أعلى السلم الاجتماعي، لأنه عظيم قومه.
٢. تقييد السلام بأكثر من (اتباع الهدى) يشير إلى أن المدعو متعنت. ويجهل المقصود من (الهدى) وأنه من الصعب أن يفهم ماهيته، بسبب التباعد في الثقافة والمعتقد، كما جاء في رسالة كسرى المتضمنة الدعوة إلى الهدى والإيمان بالله والرسول، والشهادة بوحدانية الله وأن محمداً عبد الله ورسوله.
٣. استخدام عبارة أهل الكتاب، تشير إلى اتباع المرسل إليه ديناً سماوياً.
٤. استخدام جملة (اتباع الهدى) صلة ل(من) يعني أن المدعو ليس على هدى، والهدى ليس اتباع إله واحد فقط، وإنما الإيمان بالله واحداً لا شريك له وبأن محمداً رسوله، واتباع الله والرسول.
٥. قوّة الإنذار، تبيّن أن المدعو جيّار، لن يذعن بسهولة، كما أن خلو الرسالة من عناصر التقرب والملاطفة التي بلغت ذروتها في رسالة النجاشي، وخلت منها رسالة كسرى تبين أن المدعو ميؤوس منه.
٦. تحميل الملك المرسل إليه إثم قومه إذا لم يتبع الهدى، تدل على حكم استبدادي، لأن الرعية أتباع سوف يتبعون دين الحاكم، إلى هذا تشير إليه عبارة: (فإن عليك إثم الأريسيين) (فإن عليك إثم القبط) وأما قصر إثم الرعية على الحاكم في رسالته ﷺ إلى كسرى (فإنما عليك إثم المجوس) يعني أنك تتحمل وحدك إثم رعيته، فيشير إلى كون الرعية مستعبدة، والعبد سيده يحمل مسؤولية أخطائه، وهذا يتوافق مع كسرى الذي أله نفسه، واتخذ رعيته عبداً.
٧. بالمقابل اختفاء هذه العبارة: (فإن عليك إثم...) من رسالته ﷺ إلى النجاشي، ودعوة جنوده بشكل مستقل، تبيّن أن النجاشي كان يتبع في حكمه نظاماً ديموقراطياً، وأنه منح شعبه الحرية في اتباع الدين، ومن ثم فكل واحد مسؤول عن نفسه، ولا يحمل وزر ضلال أحد من رعيته.
٨. استخدام الثقافة الإنجيلية في رسالته ﷺ إلى النجاشي مؤشر على التقارب بين الدينين المسيحي (النسطوري) والإسلام.



٩. اختفاء التهديد والتحذير من رسالته ﷺ إلى النجاشي، وإظهار الملاطفة والود، والتركيز على قصة خلق عيسى عليه السلام التي جاءت في الإنجيل غير المحرف والقرآن الكريم، دليل على رضى الرسول عن مذهب النجاشي، حيث ينتفي الداعي إليهما، ولن يرضى ﷺ إلا بالتوحيد، فالدعوة هنا للإيمان بكونه رسول الله واتباعه، لإكمال العقيدة المسيحية الذي ينتهي بالإسلام.

١٠. جملة (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) إشارة إلى تقديس الزعماء في المجتمعين القبطي والرومي.

١١. اكتمال عناصر الرسالة النموذج في رسالته ﷺ للنجاشي، يعني الاحترام الكبير له الذي يكنه الرسول ﷺ، حيث لم يخل بالقانون الديبلوماسي، الذي يفرض الاحترام المتبادل بين الطرفين.

#### نتائج البحث

إن البنية العليا للرسالة الإسلامية تعود إلى ما قبل الإسلام. وقد كتبت وفقاً لسياق الحال لتحقق الفعل التأثيري الأقوى، والذي وصل إلى حده الأقصى مع النجاشي بإذعانه وإسلامه، وكسرى بغضبه وتمزيق الرسالة. وقد ظهر تأثير السياق في البنية العليا بحذف بعض العناصر وفقاً لحال المرسل إليه. وفي البنية الكبرى للرسائل ذات المحتوى القضوي الواحد بتغيير الأفعال الإنجازية نوعاً وترتيباً لمناسبة المرسل إليه، وفي تغيير الحجج المستخدمة لإقناع المخاطب بالدعوة إلى الإسلام. كما أثر سياق الحال في اختلاف توظيف عناصر التماسك النصي، والتناصر، فتحققت في الرسائل جميع شروط نجاح الخطاب التي وضعها اللغويون، من تماسك وإخبارية عالية، ومناسبة سياق، وقوة حجاجية، وصدق، بما يجعلها نماذج تحتذى في هذا النوع من الخطاب المكتوب.

## المصادر والمراجع:

- أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٥هـ).
- أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، بيروت: مؤسسة الرسالة (١٤٢١هـ-٢٠٠١م).
- أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت).
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع (١٩٧٠م).
- إسماعيل بن كثير أبو الفداء، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة: دار هجر، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- تون أ.فاندايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة د. سعيد حسن بحيري، القاهرة، دار القاهرة، (٢٠٠٥م).
- جون لانجشو أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة قينيني عبد القادر، المغرب: دار إفريقيا الشرق، (١٩٩١م).
- جفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ترجمة محمد زياد كبة، السعودية: جامعة الملك سعود، (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- حميد اعبيدة، الحجاج في الفلسفة وفي تدريسها، مقال في الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي، إربد: عالم الكتاب الحديث، (١٠٢٠).
- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، الجمهورية العراقية: وزارة الثقافة والإعلام، (١٩٨٠م).
- خير الدين الزركلي، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، (٢٠٠٢م).
- زهير بن أبي سلمى، ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له علي حسن فاعور، بيروت: دار الكتب العلمية، (١٤٠٨-١٩٨٨).
- شمس الدين ابن طولون، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، تح: محمود الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).
- شمس الدين محمد ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تح: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).
- شوقي أبو خليل، أطلس الحديث النبوي، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر،



- محمد بن محمد بن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، بيروت: دار القلم، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).
- محمد محمد أبو موسى، شرح أحاديث من صحيح البخاري، القاهرة: مكتبة عابدين، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق روحية النحاس وآخرين، دمشق: دار الفكر، (١٩٨٩م).
- محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).
- محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، بيروت: دار النهضة العربية، (د.ت).
- محمود شيت خطاب، سفراء النبي ﷺ، بيروت: مؤسسة الريان للطباعة والنشر، جدة: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (١٤١٤هـ - ١٩٩٦م).
- هربرت بول غرايس بريطاني «المنطق والمحادثة» الذي نشره عام ١٩٥٧، ترجمه محمد الشيباني وسيف الدين دغفوس، مجلة سيميائيات، دورية محكمة تصدر عن مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران الجزائر، العدد الأول، السنة الأولى، خريف ٢٠٠٥م، واضح أحمد، الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي، (رسالة دكتوراه)، الجزائر: جامعة وهران، (٢٠١١م - ٢٠١٢م).